نظرية النحو الوظيفي... البنية والوظيفة

Functional grammar theory ... structure and function

د:خديجة مرات

khadidjamerat @gmail.com

جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2 (الجزائر).

تاريخ الإرسال2020/10/28	تاريخ القبول:2020/12/04	تاريخ النشر:2020/12/21

ملخص

تعتبر نظرية النحو الوظيفي أحد أهم النظريات في المدارس الوظيفية، والتي ترى أن الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل والتبليغ. وقد رأت هذه النظرية النور في أواخر سبعينيات القرن الماضي على يد اللساني سيمون ديك إذ قام بوضع الإطار المنهجي العام لهذه النظرية، ثم انتقلت إلى العالم العربي عن طريق أبحاث ودراسات اللساني المغربي أحمد المتوكل، هذا وقد مرّت نظرية النحو الوظيفي بمرحلتين مرحلة "نموذج الجملة" ومرحلة "ما قبل النموذج المعيار"، وقد جاءت هذه الدراسة للتعريف بهذه النظرية وعرض مبادئها ومقوّماتها ومراحلها وفق المنهج الوصفي التاريخي.

الكلمات المفتاحية:

النحو الوظيفي، البنية، الوظيفة، الكفايات.

Abstarct

Functional grammar theory is one of the most important theories in functional schools, which considers the basic function of language to be communication and reporting.

This theory was seen in the late 1970s by Simon Dick, which set the general methodological framework for this theory, and then moved to the Arab world through the research and studies of the Moroccan Ahmed al-Mutawakel, this has passed the theory of functional grammar in two stages stage "whole sale model "And stage " pre-Standard Model. "

This study is to publicize this theory and present its principles, components and stages in accordance with the historical descriptive approach.

Keywords
Functional grammar, structure, function, and competencies.

توطئة

تعود الجذور الأولى للاهتمام بالاتجاه النحوي الوظيفي إلى مدرسة براغ، التي أسسها العالم التشيكي "ماثيسيوس" سنة 1926، وطوّرها كلّ من رومان جاكبسون وتربسكوي وغيرهم...عن طريق صياغة الوجهة الوظيفية للجملة.*

وقد حظيت مدرسة براغ بالتأثير في كثير من اللغويين واللسانيين ومن بينهم فيرث، الذي اشتغل على دراسة السياق، حيث يرى أن المعنى لا يعتمد على الأصوات والكلمات والأبنية فحسب، بل يعتمد كذلك على السياق، فظهرت بوادر نظرية النحو النسقي على يديه ثم تطورت على يد هاليداي.

مهّدت هذه النظريات الوظيفية لظهور نظرية النحو الوظيفي، التي ظهرت في نهاية السبعينيات على يد اللساني الهولندي "سيمون ديك"، حيث تأثرت هذه النظرية بالنظريات الوظيفية التي سبقتها، ولاقت اهتماما كبيرا وسط الباحثين الذين تناولوها من ظواهر مختلفة (معجمية، صرفية، تركيبية، دلالية، تداولية) فهي نظرية قائمة على التنظير و النمذجة، من خلال إعادة النظر في الجهاز الواصف، حيث يقول أحمد المتوكّل:"هو محاولة لصهر بعض من مقترحات نظريات لغوية (النحو العلاقي، نحو الأحوال، الوظيفية)، ونظريات فلسفية (نظرية الأفعال اللغوية)"†.

إنّ أوّل من أرسى معالم النظرية النحو الوظيفي ومبادئها اللّساني "سيمون ديك"، وكان ذلك سنة 1989، من خلال كتابه الأخير"**the theory of functional grammar**" محاولا من خلال هذا الكتاب تعديل ما جاء في نموذجه الأوّل"**functional grammar**" سنة 1978، ومن بين التعديلات التي قام بها مايلي:[3]

1-الانتقال من نحو بسيط إلى نموذج متعدد القوالب يطمح إلى وصف مختلف الملكات التي تشكّل قدرة المتكلم التواصلية.

2-تقليص البنيتين الحملية والوظيفية إلى بنية تحتية واحدة.

3-صياغة هذه البنية التحتية على أساس احتوائها مستويات متعددة للتمثيل.

4- يتمّ اشتقاق الجملة حسب نموذج "سيمون ديك"، الأوّل "1978" عبر ثلاثة مراحل يضطلع في كلّ مرحلة منها ببناء بنية تمثّل لزمرة من الخصائص والبنيات الاشتقاقية.

وقد انتقل النحو الوظيفي إلى اللغة العربية دراسة وتقعيدا عن طريق اللساني المغربي أحمد المتوكل، حيث دعا إلى نحو وظيفي موحدّ الآليات لوصف وتفسير أقسام الخطاب في مختلف اللغات المتباينة نمطيا من جهة، ومن جهة ثانية يمتد إلى تفسير الأنظمة التبليغية غير اللغوية كالرسم والموسيقى والسينما، وبفضل ذلك أصبحت

الوريث الشرعي، للنظريات النحوية الوظيفية قبلها، وتطمح منذ الثمانينيات أن تكون بديلا للنظرية التوليدية التحويلية بكل نماذجها[4].

يتضح أن النحو الوظيفي بعدما أصبح وريثا للنظريات النحوية الوظيفية التي سبقته، إذ نال مكانة بديلة عن النظرية التوليدية التحويلية وأصبح محلا للدراسة وللتطبيق والمقارنة؛ إذ زاوج أحمد المتوّكل في دراسته بين الفكر اللغوي العربي القديم وبين الدراسات اللسانية المعاصرة وسيتضّح ذلك فيما سيأتي لاحقا.

أوّلا– ملامح الوظيفية في الفكر اللغوي العربي القديم:

إنّ انطلاقة أحمد المتوكل في مشروعه نظرية النحو الوظيفي لم تكن من العدم، بل كان قارئا جيّدا للنحو العربي خاصّة والفكر العربي القديم عامّة؛ إذ حاول من خلال نظريته استنطاق الوظيفية في علوم اللغة العربية من خلال ما تركه علماؤها من نصوص ومدونات تثبت ذلك، إذ يرى المتوكل أنّ الفكر اللغوي العربي القديم من "نحو وبلاغة وأصول وتفسير"، يقوم في مجمله على مبدأ الوظيفية، بحيث تهتّم كلّ هذه العلوم بالوظيفة التي يؤديها كلٌّ من المتكلّم والسامع خلال عملية التواصل اللغوي، عن طريق عملية مطابقة المقال لمقتضى الحال، كما اهتمّوا بدور المتكلّم في إنتاج الخطاب، عن طريق معيار الصدق والكذب، والمطابقة مع الواقع وعدمها، بحيث يقول محمد سويرتي:" إنّ النحاة والفلاسفة المسلمين، والبلاغيين والمفكرين مارسوا المنهج التداولي قبل أن يذيع صيته بصفته فلسفة وعلما، رؤية واتجاها أمريكيا وأوربيا، فقد وظّف المنهج التداولي بوعي في تحليل الظواهر والعلاقات المتنوعة"[5] وقد أورد المتوكل مجموعة من المبادئ الوظيفية التي تنتظم الفكر اللغوي العربي القديم وهي كمايلي:[6]

1– من المعلوم أنّ الموضوع المروم وصفه في هذا الفكر هو نص القرآن الكريم. إذ يرى المتوّكل أنّ المعطيات المنصّب عليها الوصف اللغوي ليست جملا مفردة مجردة من مقامات إنجازها بل إنّها خطاب متكامل متماسك الوحدات أي أنّ الوصف اللغوي ينظر إلى النص بعدّه خطابا متكاملا.

2– يترتب عن طبيعة الموضوع المستهدف وصفه أنّ من المبادئ المنهجية التي يجب أن تثوي خلف الوصف مبدأ الترابط بين المقام والمقام، وبين خصائص الجمل الصورية وخصائصها التداولية.

3– إنّ الجهاز الواصف المتصّدي لتفسير ووصف نص القرآن الكريم، يتألّف من علوم ذات مجلات مختلفة ومتكاملة كالنحو والبلاغة والأصول وغيرها... وأنّ العلمين المضطلعين برصد الترابط القائم بين الخصائص التداولية والخصائص الصورية(التركيبية والصرفية وال صوتية) هما البلاغة و الأصول.

4– يميّز في الفكر اللغوي العربي القديم بين نوعين من الوظيفية هما: وظيفية ضعيفة و وظيفية قوية، فالوظيفية القوية هي كلّ وظيفة قائمة على أنّ الوظيفة أو الجوانب التداولية تحدّد خصائص البنية، أمّا الوظيفية الضعيفة

فهي كلّ وظيفية تقوم على مبدأ أنّ الجوانب التداولية لا تحدّد خصائص البنية وإنّما تشكّل مجرّد تأويلات لهذه الخصائص.

بناء على هذين النوعين من الوظيفية يرى أحمد المتوكل أنّ الفكر اللغوي العربي القديم ينقسم إلى صنفين: صنف يشكّل فيه التداول مكونا تأويليا ويمثّل له بكتاب "مفتاح العلوم" للسكاكي، بحيث يتألف الجهاز الواصف عنده من أنساق القواعد الآتية: قواعد صوتية_صرفية، تضطلع بتكوين المفردات وقواعد نحوية تتكفل بتأليف المفردات فيما بينها لتكوين الجملة وقواعد تداولية ممثلة في علمي "المعاني والبيان" التي تضطلع برصد الترابط القائم بين الجملة خرْجِ القواعد النحوية والطبقات المقامية الممكن أن تنجز فيها أي مطابقة المقال لمقتضى الحال[7]. أمّا الصنف الثاني فيشكّل فيها مكونا توليديا مثلما هو الأمر عند عبد القاهر الجرجاني؛ إذ تقوم نظرية النظم عنده على أساس أنّ قواعد النحو تربط بين بنيتين اثنتين: بنية تداولية تتضمن "الغرض من الكلام" وبنية تركيبية"لفظية"[8]. ويلّخص المتوكل هذين الصنفين بقوله:"يقوم الجانب التداولي بدور تأويلي في اقتراحات السكاكي ودور توليدي عند الجرجاني."[9]

5- دُرِس في الفكر اللغوي العربي القديم الظواهر المتعلقة ب"الأغراض" التي تدّل عليها الجمل في مختلف الطبقات المقامية والظواهر المتعلقة بمختلف الرتب التي يمكن أن تأخذها المكونات داخل الجملة طبقا لمختلف الطبقات المقامية التي يمكن أن تُنجز فيها.

لقد اهتم النحاة القدماء بدراسة ظاهرة خروج أسلوب من معنى لاصق به إلى معنى آخر، ويوضّح ذلك المتوكل بخروج أداة الاستفهام "الهمزة" من الدلالة على السؤال إلى الدلالة على معانٍ أخرى كالإنكار والاستبطاء وغيرها[10]ففي الجملة التالية تدّل الهمزة على الاستفهام:(أكان خالد حاضرا؟)
هنا محاولة معرفة حضور خالد من غيابه وهو استفهام حقيقي، أمّا في قولنا:(أتجادل أباك؟) إنكار لفعل مجادلة الأبّ، فديننا الحنيف يحثنا على احترام الوالدين وطاعتهما وعدم مجادلتهما ورفع الصوت عليهما، فهنا ورد الاستفهام بغرض انكار الفعل. وفي جملة (ألم تذهب بعد؟) هنا خرجت الجملة من الاستفهام الحقيقي إلى معنى الاستبطاء يعني ألازلت هنا ولم تذهب. ويرى أحمد المتوّكل أنّ دراسة النحاة لم تتعد مستوى الملاحظة أمّا البلاغيون فقد وصفوها وصفا وافيا من خلال نقطتين؛ الأولى: تعميم الظاهرة أي اعتبار الانتقال من معنى إلى معنى آخر ظاهرة تشمل جميع الأساليب لا أسلوب الاستفهام فقط، والثانية رصد عملية الانتقال من المعنى الحرفي إلى معنى آخر، وليد المقام[11]، فالسكاكي يميّز بين الأغراض اللاصقة بالصيغ الجملية والأغراض التي تدلّ عليها في طبقات مقامية معيّنة، يطلق على الفئة الأولى من الأغراض مصطلح الأغراض الأصلية وهي: الاستفهام، التمني، النداء، الأمر، النهي، وهي تجرى على أصلها إذا كان الالمقام أي مقتضى الحال ملائما لشروط إجرائها على الأصل والفئة الثانية تسمّى الأغراض الفرعية.[12] ويمثّل المتوّكل للأغراض الأصلية بـ"الاستفهام" بحيث يُجرى الاستفهام على أصله ، والمقصود بمعنى يجرى على أصله أي أنه يفيد السؤال

الحقيقي، إذا انجزت الجملة الاستفهامية في مقام يطابق الشروط، مثل السؤال عند عودة هند في قولنا: متى ستعود هند من السفر؟ هنا السؤال حقيقي المراد منه معرفة وقت عودة أو يوم عودة هند من السفر، فالمطلوب هاهنا غير حاصل وقت الطلب و ممكن الحصول في الذهن، في حين إذا لم يطابق المقام شرط إجراء الاستفهام على أصله؛ فإنّ الجملة تنتقل من الدلالة على هذا الغرض الأصلي إلى الدلالة على غرض آخر مثل التمنّي مثلا في قولنا: هل من شفيع؟ فهنا لا يقصد من الاستفهام المعنى الحقيقي ومعرفة الشيء إنما خرج الغرض الأصلي إلى غرض أخر وهو تمني وجود شفيع.

كان الحديث هنا عن النحويين أمّا البلاغيون ففي دراستهم لبنية الجملة انطلقوا من مبدأ الترابط بين ترتيب المكونات والحمولة الإخبارية للجملة، فالحمولة الإخبارية للجملة تتضمن معلومات محايدة، أي معلومات تُلقى إلى المخاطب خالي الذهن، ومعلومات موسومة ؛ تُلقى إلى المخاطب المتردد في ورودها أو المخاطب المنكِر ورودها، إذ تحظى المعلومات الموسومة باهتمام من خلال مستوى الجملة، إمّا بأدوات خاصة أو بتصدير المكوّن الحامل للمعلومة المرومة العناية بها، والمثالان الاتيان يوضحان ذلك:[13]

1- إنّ خالد مسافرٌ / 2- هندا رأيتُ

ففي المثال الأوّل جاء التوكيد بـ"إنّ"، وفي الجملة الثانية تقدمت هند على الفعل والفاعل اهتماما بها.

وتعدّ دراسة البلاغيين لمفهوم الاستعارة التي تحتمل الصدق والكذب كذلك رؤية وظيفية تداولية بامتياز، بحيث أنّ "من يقوم بالاستعارة فهو في الظاهر يكذب ويتكلم بطريقة غامضة وغير مفهومة، وتبعا لذلك فعندما يتكلم شخص منتهكا جميع هذه القواعد ويفعل ذلك بطريقة تجعلنا لا نظن أنه احمق أو اخرق، فهنا نجد أنفسنا إزاء استلزام حواري"[14] .

ثانيا– نقاط التقاطع بين الدّرس اللغوي العربي القديم والدرس اللساني الوظيفي:

أورد أحمد المتوكل بعض المبادئ أو النقاط التي يتقاطع فيها الفكر اللغوي العربي القديم مع المبادئ المنهجية التي تحكم الدرس اللغوي الوظيفي المعاصر وهي كمايلي[15]:

- تعتبر اللغة عند الفكرين العرب وسيلة للتواصل، يتواصل بها البشر تعبيرا عن أغراضهم وهذا ماجاء عند ابن جنّي في تعريفه للغة بحيث يرى أنّ حدّ اللغة أنّها أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم.
- هذا التصوّر للغة على أنّها مؤدية لوظيفة التواصل كان وراء توجيه الدراسات اللغوية، نحو محاولة وصف الترابط القائم بين بنية اللغة ووظيفتها، فباعتبار التراكيب اللغوية وسائل لتأدية أغراض تواصلية معيّنة، انصبت هذه الدراسات على رصد العلاقة بين كلّ نمط من أنماط التراكيب والغرض المتوخى.، بحيث أنّ اللغويون العرب القدماء كانوا يقيمون هذا الترابط بين بنية اللغة ووظيفتها التواصلية على أساس تحديد الوظيفة للبنية أي على أساس أنّ التراكيب اللغوية وسائل للتعبير عن أغراض تواصلية.
- إنّ هذا التصوّر للعلاقة بين الوظيفة والبنية ينعكس في تنظيم النحو كما اقترحه بعض البلاغيين كالجرجاني حيث يمثّل في البنية الأساس لـ"الغرض من الكلام" الذي يعتبر "دخلا" لقواعد النحو التي ينتج تطبيقها البنية اللفظية للجملة[16].
- يمكن انطلاقا من نصوص أصولية وبلاغية استخلاص مجموعة من الآراء تشكّل تصوّر اللّغويين العرب القدماء وتسمى في أبجديات النحو الوظيفي ب"القدرة اللغوية" و تتمثل في: المعرفة اللسانية والمعرفة اللغوية والمعرفة الخطابية، فمن منظور الجرجاني أنّ الإنسان قبل تعلمه للغته، مفاهيم الرجل والفرس وغيرهما ومقولات الاستفهام والنفي والاستفهام ومجموعة من العلاقات كعلاقة "الاسناد" مثلا، ويتعلم الإنسان عن طريق تجربته اللغوية والتراكيب التي تستخدمها لغته للدلالة على هذه المفاهيم والمقولات والعلائق.
- إنّ امتلاك المتكلم السامع لـ"الأوضاع" المتعارف عليها في عشيرته اللّغوية، أي القواعد التي تكوّن نسق لغته، تشكّل المعرفة اللغوية، بحيث تربط هذه القواعد بين الخصائص البنيوية والخصائص الوظيفية.
- لم يتحدّث اللغويون القدماء كثيرا عن مفهوم "الكليات اللغوية" وإنّما يستشف من بعض النصوص الأصولية والبلاغية أنّهم كانوا مدركين لما يؤلّف بين اللغات وما يخالف بينها.
- يُجمع البلاغيون والأصوليون على أنّ موضوع الدراسات اللغوية هو رصد خصائص التراكيب في علاقتها بأنماط المقامات التي يمكن أن تنجز فيها وبالأغراض التواصلية التي يمكن أن تستعمل لتحقيقها.

يمكن إيجاز ما ورد من تقاطعات بقول المتوكل:" إنّ النحو الذي كان يدعو إليه الجرجاني (ومن حذا حذوه من البلاغيين والأصوليين) نحو وظيفي باعتبار قيامه على مبدأ ضرورة الربط بين بنية اللغة والوظيفة التي تؤديها في التواصل."[17]

ثالثا – مبادئ نظرية النحو الوظيفي:

يصنّف مشروع النحو الوظيفي التداولي عند أحمد المتوّكل من بين النظريات اللسانية المعاصرة التي ترقى إلى العالمية وأنّ ها من بين الكتابات التي تجسّد المنحى الوظيفي ، وقد أورد مصطفى غلفان بعض الأسباب التي جعلتها تتبوأ تلك المكانة من بينها[18]:

- ❖ إثراؤها النظري والمنهجي للدرس اللساني العربي الحديث بإضافة إطار نظري جديد لوصف وتفسير بنيات اللغة.
- ❖ أهميّة اللسانيات الوظيفية باعتبارها نظرية صورية ووظيفية في ذاته محاولة بذلك سدّ مظاهر النقص في بعض النظريات اللسانية الوصفية والتوليدية التحويلية على حدّ سواء.
- ❖ تكامل الدراسات والأبحاث التي قدّمها المتوّكل بحيث تمّ اتخاذ الوظيفية عامة والنحو الوظيفي بصفة خاصة إطارا نظريا ومنهجيا لتحليل اللغة العربية تحليلا شموليا ومتكاملا.
- ❖ تقيّدها بصرامة البحث العلمي وشروطه النظرية والمنهجية المتمثلة في تحديد الموضوع وتوضيح الإطار النظري والدّقة في التحليل والصورية في صياغة القواعد.
- ❖ اهتمامها بتحديد الإطار النظري المعتمد من خلال انخراط المتوّكل نفسه في الكتابة التمهيدية التي تعرف بالأصول العامة للسانيات الوظيفية ومبادئها وبتطور النماذج الوظيفية كلّما حصل هناك تطوّر في النموذج المتبع.

ومن المعلوم أنّ كلّ نظرية تقوم على ضوابط منهجية ومبادئ تأسيسية حتّى تكون مخالفة عن غيرها من النظريات، وقد رسم أحمد المتوكل لمشروعه الوظيفي مخططه المنهجي بناءً على مجموعة من المبادئ تتمثل في[19]:

المبدأ الأوّل: وظائف اللغات الطبيعية (الأساسية) هي التواصل، أي أنّ موضوع نظرية النحو الوظيفي يتمثل في القدرة التواصلية من خلال مستعمل اللغة، هذا الأخير الذي يجب أن يكون له قدرة تواصلية كاملة أي مجموعة من الكفايات؛ كفاية معرفية، لغوية، إدراكية، منطقية...ليتواصل مع بني جنسه.

وهناك معنيان للوظيفة، الأوّل: الوظيفة باعتبارها دورا تقوم به اللغة كنظام كلّي، أمّا المعنى الثاني: الوظيفة باعتبارها علاقة دلالية أو تركيبية أو تداولية قائمة بين مكونات الجملة، كعلاقة المنفذ وعلاقة الفاعل وعلاقة المحور.

فاللسانيات أو الأنحاء الوظيفية تقوم على معيار الوظيفة حيث تقوم بتفسير الميزات الصورية وربطها بالوظيفة التواصلية، وبالتالي تكون الوظيفة التبليغية التواصلية الأساس للغة من المنظور الوظيفي، فالبشر يأخذون البنية التي تلائم الوظيفة، حتى يتواصلون مع بعضهم.

وتتكون القدرة التواصلية –في النحو الوظيفي– لدى مستعمل اللغة الطبيعية من خمس ملكات و هي[20]:

- ✓ **الملكة اللغوية:** يستطيع مستعمل اللغة الطبيعية أن يُنتج ويؤول إنتاجا وتأويلا صحيحين عبارات لغوية ذات بنيات متنوعة جدّا أو معقدة جدا في عدد كبير من المواقف اللّغوية.
- ✓ **الملكة المنطقية:** يمكن لمستعمل اللغة الطبيعية على اعتباره مزودا بمعارف معينة، أن يشتق معارف أخرى بواسطة قواعد استدلال تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي والمنطق الاحتمالي.
- ✓ **الملكة المعرفية:** يستطيع مستعمل اللغة الطبيعية أن يكوّن رصيدا من المعارف المنظمة ويستطيع أن يشتق معارف من العبارات اللغوية، كما يستطيع أن يختزن هذه المعارف في الشكل المطلوب وأن يستحضرها لاستعمالها في تأويل العبارات اللغوية.
- ✓ **الملكة الإدراكية:** يتمكن مستعمل اللغة الطبيعية من أن يدرك محيطه وأن يشتق من إدراكه ذلك معارف وأن يستعمل هذه المعارف في إنتاج العبارات اللغوية وتأويلها.
- ✓ **الملكة الاجتماعية:** لا يعرف مستعمل اللغة الطبيعية ما يقوله فحسب بل يعرف كذلك كيف يقول ذلك لمخاطَب معين في موقف تواصلي معين قصد تحقيق أهداف تواصلية معينة.

المبدأ الثاني: موضوع الدرس اللساني الوظيفي هو وصف القدرة التواصلية للمتكلم والمخاطب، ولذلك لابد للمتكلم عند الوظيفيين من معرفة القواعد التي تمكنه من تحقيق أغراض تواصلية بواسطة اللغة وهو ما يعرف ب"القدرة اللغوية،"**competence linguistique**"، أي لابد من معرفة النسق اللغوي ومعرفة المعارف السياقية والنسق الاستعمالي، ومثالهم على ذلك الطفل الصغير لا يكتسب قدرة لغوية محضة بل يكتسب قدرة لغوية مضافا إليها قدرة التواصل مع بني جنسه، إذن الطفل يتعلم أصوات لغته وقواعدها و ما تؤديه من تواصل[21].

المبدأ الثالث: النحو الوظيفي نظرية للتركيب والدلالة منظورا إليهما من وجهة نظر تداولية، فالمستوى التداولي(البؤرة، الاستلزام الحواري، قوى الإنجاز) يحتل المركز الأول عند الوظيفيين لأنه هو الذي يحدّد المستوى التركيبي، حيث يقوم اللساني في النحو الوظيفي ببناء نسقين من القواعد:

- نسق القواعد التداولية والتي تحكم التفاعل الكلامي واعتباره نشاطا تعامليا.
- نسق القواعد الدلالية التركيبية الصوتية التي تحكم العبارات اللغوية المستعملة بصفتها أدوات لذلك النشاط.

المبدأ الرابع: يجب أن يسعى الوصف اللغوي الطامح للكفاية إلى تحقيق ثلاثة أنواع من الكفاية[22]:

1-**الكفاية التداولية** :وتعني أن النحو الوظيفي لا يقتصر على القواعد التي تضمن سلامة بناء الجمل أو النصوص فحسب بل تعنى بالقدر نفسه برصد القواعد والشروط اللازمة لجعل تلك الجمل أو النصوص مقبولة وناجحة وملائمة للموقف التبليغي الذي تكون مسرحاً له.

ويرى الاتجاه الوظيفي أنّ الأبعاد التداولية علاقات قائمة بين مكونات الجملة على غرار العلاقات التركيبية والدلالية، فعند تحليل الجملة وجب أن يكون هناك تمثيل للوظائف التداولية لتحقيق أهداف تواصلية وهو ما يسمى بالكفاية التداولية، فالكلام عندهم يتجاوز البنية والتركيب إلى الظروف الخارجية بما أن غايته التواصل، وهذا ما ركز عليه أحمد المتوكل في أبحاثه حيث قام بإبراز التفاعل بين الخصائص البنيوية للعبارات اللغوية والأغراض التواصلية والتي تجعل من هذه العبارات وسيلة لبلوغها، ومنه يقوم البعد التداولي بدراسة الظاهرة اللغوية ضمن ظروف خارجية مقامية المحيطة بالعملية الكلامية.

2-**الكفاية النفسية:** وتعني أن يحاول النحو الوظيفي أن يكون مطابقاً للنماذج النفسية التي تنقسم إلى نماذج إنتاج والتي تحدد كيف يبني المتكلم العبارات اللغوية وينطقها، ونماذج فهم وهي التي تحدد كيفية تحليل المخاطب للعبارات اللغوية وتأويلها.

تهتم الكفاية النفسية بالعبارات اللغوية التي ينتجها المتكلم وطريقة نطقها وفهمها لدى المخاطَب، كما تهتم بطريقة تأويلها عنده(المخاطَب).

3-**الكفاية النمطية:** ونعني أن النحو الوظيفي، يطمح إلى أن ينطبق على أكبر عدد ممكن من اللغات الطبيعية، ذات البنى اللغوية المتباينة، فيرصد ما يؤالف بين هذه المتباينة نمطيا وما يخالف بينها.

تهتم الكفاية النمطية بدراسة المؤتلف والمختلف في البنى اللغوية في أكبر عدد من اللغات.

رابعا -بنية الجملة في النحو الوظيفي:

إنّ الجملة في النحو الوظيفي بنية منجزة لكونها نتاج المقام، فالمقام يستدعي التلفظ بالجملة، فتحديد خصائصها مرهون بالعودة إلى مقاصد متلفظيها؛ ومنه فالجملة من منظور النحو الوظيفي فعل لغوي قائم على خصائص دلالية تداولية بالإضافة إلى أنها بنية صرفية وتركيبية، تستعمل للتواصل.

وقد قام أوستين وغيره من فلاسفة اللغة العادية، ببناء تصورهم للفعل اللغوي انطلاقا من نقد التصوّر القديم عند المناطقة الوضعيين الذين يحكمون على دلالة الجملة بمعيار الصدق والكذب، فالجمل التي لا تحتمل الصدق ولا الكذب لا دلالة لها ولا أحقية لها في الدراسة، على خلاف الجمل التي تحتمل الصدق والكذب، وتُحدد بنية الجملة وفق منظور النحو الوظيفي على ثلاث مستويات[23]:

1-مستوى لتمثيل الوظائف الدلالية كوظيفية المنفذ والمتقبل والمستقبل و المكان والزمان.

2- مستوى لتمثيل الوظائف التركيبية ويندرج تحته وظيفتان فقط هما وظيفة الفاعل والمفعول.

3- مستوى لتمثيل الوظائف التداولية وهي خمس وظائف، اثنتان داخليتان هما المحور والبؤرة، وثلاث خارجية هي المبتدأ والمنادى والذيل.

وتعمل هذه المستويات الثلاثة ضمن ثلاث بنيات اشتقاقية؛ البنية الحملية، البنية الوظيفية، البنية المكونية، حيث تقوم مجموعة من القواعد والمكونات ببناء هذه البنيات، وقبل تحديد القواعد الكفيلة ببناء هذه البنيات الثلاث[24]، نستعرض مفهوم البنيات.

1-**البنية الحملية:**

سميّت هذه البنية بالحملية نسبة إلى "الحمل"، والذي هو نتاج إسناد محمول (المسند من فعل وخبر) إلى عدد من الحدود أو الموضوعات.

مثال: خرج محمد من المسجد

محمول حدود أو موضوعات

أساتذة الأدب مفكرون

حدود أو موضوعات محمول

فالخطاب الذي يوجهه المتكلم للمتلقي، يتكون من هذا الحمل، والذي يتكون بدوره من محمول وعدد من الحدود والمحمولات، وتجمع بين الحمل والمحمول علاقة دلالية مخصصة، ف"محمد" له علاقة ب"خرج" تتمثل في أنّ محمد هو منفذ الفعل أي هو من قام بالفعل، أمّا "من المسجد" فتمثل مكان أو وجهة "محمد"، أمّا بالنسبة للجملة الثانية فنجد أنّ كلمة "مفكرون" لها علاقة بالحد"أساتذة الأدب" من حيث إنه متموضع.

ومنه نجد أن المحمول في النحو الوظيفي متعدد من ناحية مقولته المعجمية، فقد يكون فعلا مثل (رسم، كتب ...) وقد يكون اسما مثل (أي، أم ...) وقد يكون صفة مثل (كافر، مؤمن...) وقد يكون ظرفا مثل (فوق، تحت...)، أما عن ترتيب هذه المقولات من حيث ورودها محمولات في النحو الوظيفي فهي كالآتي:

يأتي الفعل في المرتبة الأولى ، ثم في مرتبة ثانية "الصفة"، ثم الظرف ثم الاسم، ففي الغالب يأتي الاسم حدا من حدود الجملة، أمّا من ناحية الدلالة فهو يدل على واقعة والتي قد تكون عملا، حدثا، وضعا أو حالة.

فعل >صفة > ظرف > اسم

مثال:

1-شرب زيد ماءً (عمل)

2- حرّكت الرياح أوراق الشجر (حدث)

3-الكتاب فوق الطاولة (وضع)

4- عائشة حزينة (حالة)

- **الأعمال:** محمولات فيها حركة واضطراب تصدر عادة من ذات عاقلة، وقد تصدر من ذات غير عاقلة، ومراقبة للحدث وهي القدرة على الإنجاز وعدمه، ويأخذ هذا الفعل وظيفة المنفذ.

- **الأحداث:**محمولات تصدر من ذات غير عاقلة جامدة ويمكن النظر إليها من زاوية قوى طبيعية، مثل: الريح ...وتسند إليها وظيفة القوة، وقد تسند إليها وظيفة المتحمل في الذوات المتحملة للحدث مثل: انفتح الباب..
- **الحالات:** هي محمولات تدل على حالة تتسم بها ذات من الذوات مثل: الحزن، الفرح ... وتحمل الذات التي تتسم بهذه الحالة وظيفة الحائل.
- **الأوضاع:**هي محمولات تدل على ذات مراقبة لوضع، حيث يكون المحمول دالا في ذاته على وضع مكاني مثل:عمرو في بغداد..أو زماني مثل: الامتحان في المساء..وقد يدل على مكانة لذات معينة مثل: عمرو طبيب...وتحمل الذات المرتبطة بهذا المحمول وظيفة المتموضع.

2- **البنية الوظيفية:**

هي دخل قواعد التعبير باعتبارها تجميعا للمعلومات المتعلقة بالخصائص الدلالية/التداولية، وقوم البنية الوظيفية على عناصر هي: محمول (فعلي، اسمي،صفي، ظرفي) دال على واقعة: (عمل،حدث، وضع، حالة) يواكبه عدد من الحدود التي هي موضوعات أو حدود لواحق، بالإضافة إلى هذه العناصر المعجمية، ثمة مؤشرات (مجردة) تقوم بدور تحديد السمات الجهية والزمانية بالنسبة إلى المحمول ذاته والسمات الوظيفية (الوظائف الدلالية والتركيبية والتداولية) التي تخص الحدود.

حيث يقوم الأساس بمدّ قواعد النحو بمصدر الاشتقاق، فالأساس هو عبارة عن خزينة للمفردات أو عبارة عن مدخل معجمي ممثل في شكل الإطار المحمولي إلى بنية تامة التحديد، ثم توسيعه عن طريق إضافة الحدود واللواحق وتخصيص السمات الجهية الزمنية للمحمول، هذه البنية تُتخذ دخلا لقواعد إسناد الوظائف، فتحدد الوظائف التركيبية (الفاعل، المفعول) أوّلا ثم الوظائف التداولية (المحور، البؤرة)، فيحصل على بنية وظيفية، في هذه البنية تتوافر المعلومات الدلالية التداولية التي تستلزمها قواعد النسق القاعدي الثالث،قواعد التعبير.

هذه القواعد فئتان اثنتان: قواعد تحدد الصورة التي تتحقق فيها عناصر البنية (قواعد صرفية، قواعد إسناد الحالات الإعرابية، قواعد إدماج المعلقات) وقواعد تحدد رتبة هذه العناصر (قواعد الموقعة)، البنية الناتجة عن تطبيق قواعد التعبير، هذه تتخذ دخلا للقواعد الصوتية التي يتم بواسطتها إسناد التأويل الصوتي.

مثال:

رأى محمد عمرا صباحا

(تا مض ر أ ى (فاعل) ف (ع1 س1 محمد) منف فا مح (ع1 س2 عمر) متق مف (ن1 ص1 صباح) زم بؤ)

حيث:تا: تام، مض: ماض، منف: منفذ، فا: فاعل، مف: مفعول، متق: متقبل، مح: محور، بؤ: بؤرة، ع:معرفة، ن: نكرة.

والرسم الموالي يوضح تقسيم البنى وفق نظرية النحو الوظيفي:[25]

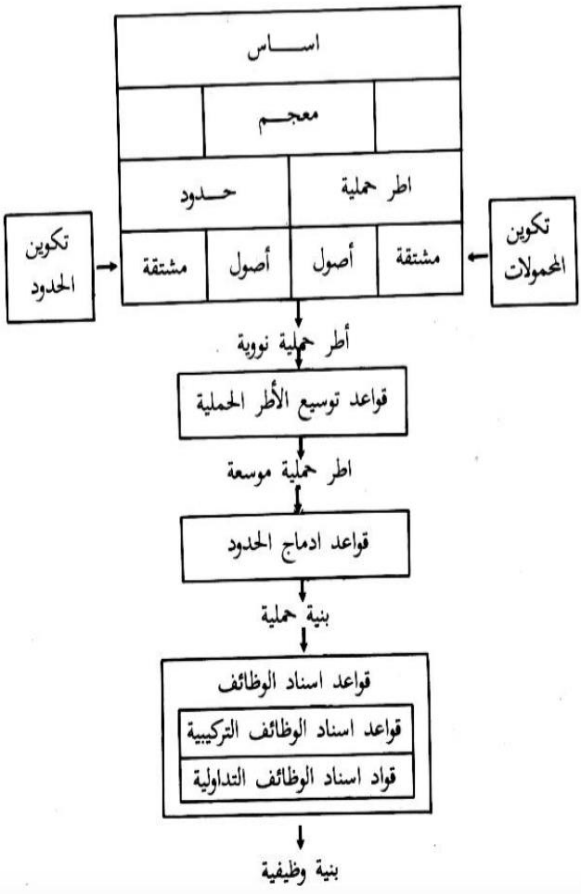

خامسا – الوظائف في النحو الوظيفي:

تنقسم الوظائف في النحو الوظيفي إلى ثلاثة أقسام[26]:

1- وظائف دلالية:

وتطلق على الأدوار التي يأخذها كل محل من محلات الموضوعات بالنسبة للواقعة التي يدل عليها المحمول وتشتمل على الوظائف الآتية؛ (المنفذ، المتقبل، المستقبل، الأداة، المكان، الزمان، الحال)، وتستند إلى الإطار الحملي حيث يُحدَّد الموضوعُ دلاليا، ومن ثَمّ يأخذ وظيفته الدلالية، وعليه فهي تحدد دور موضوعات المحمول ولواحقه في الواقعة[27].

2- وظائف تركيبية:

و تتضمن هذه الوظائف وظيفتين هما؛ (فاعل، مفعول)، ويتم إسنادهما إلى الحدود في الجملة وفق سلمية الوظائف الدلالية، وهي مفاهيم غير كلية بمعنى أنها غير واردة في كل اللغات الطبيعية.

يكون الحمل دالا على واقعة وعدد من الحدود المشاركين في الواقعة، وتنطلق الواقعة من وجهة معينة لتنتقي الحدود لتكون إما منظورا رئيسيا، أو منظورا ثانويا، وإلى الحدين تسند الوظيفتان التركيبيتان (الفاعل)، و(المفعول)، وتبقى الحدود غير الوجهية دون وظيفة تركيبية[28].

تسند وظيفة الفاعل إلى الحد الذي يشكل المنظور الرئيسي للوجهة التي تقدم انطلاقا منها الواقعة الدال عليها محمول الحمل[29]. ومن هنا فوظيفة الفاعل تسند إلى الوظيفة الدلالية المنفذ، والمستقبل، والمتقبل[30].

أما الوظيفة المفعول فتسند إلى الحد الذي يشكل المنظور الثانوي للوجهة التي تقدم انطلاقا من الواقعة الدال عليها محمول الحمل[31]، ومنه فوظيفة المفعول في تسند إلى الوظائف الدلالية الآتية المتقبل والمستقبل[32]

3- وظائف تداولية:

تنحصر الوظائف التداولية في النحو الوظيفي في خمس وظائف منها الخارجية (المبتدأ، والذيل، والمنادى)، وسميت بذلك لأنها تُسند إلى مكونات تتموقع خارج الجملة[33]، والداخلية (البؤرة، والمحور)، وهي علاقات تقوم بين مكونات الجملة على أساس المقام الذي تنجز فيه الجملة، بمعنى آخر فهي على أساس البنية الإخبارية المرتبطة بالمقام، وبالتالي فهي تُحدد وضع المكوّنات داخل البنية الإخبارية، فهي التي تقوم بتحديد العلاقات بين مكونات الجملة على حسب التواصل بين المتكلم والمخاطب، أو الوضع التخابري بينهما[34].

ب-الوظائف الداخلية:

- ✓ **البؤرة:** وهي المكوّن الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزا في الجملة[35]، أو التي يجهلها المخاطب أو يشك في صحتها أو ينكرها، وعلى هذا فهي نوعان؛ من حيث الطبيعة؛ بؤرة الجديد، وبؤرة المقابلة، ومن حيث المجال؛ بؤرة المكوّن، وبؤرة الجملة[36].

- ✓ **المحور:** وهو المكوّن الدال على المكوّن الذي يكون محط الحديث عنه في الجملة.[37]

ب-الوظائف الخارجية:

- ✓ **المبتدأ:** هو ما يحدد مجال الخطاب الذي يعتبر الحمل بالنسبة إليه واردا[38]، مثل: (زيدٌ، قام أبوه)، الجملة تتكون من ركنين؛ حمل: (قام أبوه)، ومبتدأ: (زيد)، وهو الذي يحدد المجال الذي يعتبر إسناد مجموع الحمل إليه واردا؛ بمعنى أن يكون المبتدأ صالحا للإحالة على ما بعده، ويكون المخاطب قادرا على التعرف على ما يحيل إليه المبتدأ، فالإحالة على المجهول لا يفيد؛ فهو لحن تداولي[39].
- ✓ **الذيل:** هو الذي يوضّح معلومة داخل الحمل أو يعدّلها أو يصححها؛ فالذيل على هذا ثلاثة: ذيل توضيح، وذيل تعديل، وذيل تصحيح، ويكون ذلك وفقا طبقا لإنتاج الخطاب بحسب مقاماته.
- ✓ **المنادى:** تسند وظيفة المنادى إلى المكوّن الدال على الكائن المنادى في مقام معين[40]؛ فهذه الوظيفة تسند إلى المكوّن الدال على الكائن المدعو[41]، مثل: يا محمد، راجع دروسك.

3- البنية المكوّنية:

ويقصد بها البنية الصرفية-التركيبية بتطبيق قواعد التعبير التي تشتمل على جملة من القواعد وهي[42]:

- ❖ قواعد صياغة الحدود
- ❖ قواعد صياغة المحمول
- ❖ قواعد إدماج مؤشر القوة الإنجازية
- ❖ قواعد الموقعة
- ❖ قواعد إسناد النبر والتنغيم

خاتمة:

- يميز في الدراسات اللغوية القديمة بين قسمين من البحوث: قسم يعتمد على الاهتمام بالخصائص التداولية تأويليا كمطابقة المقال لمقتضى الحال، والقسم الآخر يعتمد على الاهتمام به توليديا أي يمثّل للخصائص التداولية في الأساس ذاته.
- إنّ أهم ما جاءت به نظرية النحو الوظيفي هو الوظيفية الأساس للغة؛ متمثلة في التواصل القائم بين المتكلمين، ومنه فنظرية النحو الوظيفي خالفت رؤية التوليديين وعلى رأسهم شومسكي الذي يرى أنّ اللغة وظيفتها الأساس هي التعبير عن الفكر.
- يعدّ النحو الوظيفي أكثر النظريات الوظيفية التداولية استجابة لشروط التنظير من جهة ولمقتضيات النمذجة للظواهر اللغوية من جهة أخرى.
- يعدّ تعريف ابن جنّي للغة تعريفا وظيفيا تداوليا، حيث اعتبر اللغة ذات قيمة نفعية تعبيرية يتواصل بها بني البشر.
- يقوم الفكر اللغوي العربي القديم على ثنائية "**الخبر/الإنشاء**" وهي ثنائية مشابهة للثنائية الأوستينية "**الوصف/الإنجاز**".
- درس اللغويون القدماء والمحدثون الترابط القائم بين الخصائص الصورية للغة وجوانبها التداولية.
- تقوم نظرية النحو الوظيفي على ثلاثة مستويات:

مستوى أول: ويضم الوظائف الدلالية من منفذ ومستقبل وزمان ومكان ومستفيد و حال .

مستوى ثان: ويضم الوظائف التركيبية من فاعل ومفعول.

مستوى ثالث: ويضم الوظائف التداولية من مبتدأ وذيل وبؤرة ومحور ومنادى.

- يعالج البعد التداولي الظاهرة اللغوية ضمن ظروف خارجية تحيط بالعملية الكلامية، فهو يحاول الربط بين البنية اللغوية للحمل والظروف المقامية التي تنجز فيها.

الهوامش:

1- مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،المغرب، 1998، ص 252.

2- أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 1985، ص 9.

3- أحمد المتوكل:آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، 1993-، ص5.

4- صالح بن محمد الصعب: مبادئ نظرية النحو الوظيفي وأسسها، مقال منشور على الشبكة العنكبوتية، 2015/10/30، https://ssaab.wordpress.com

5- محمد سويرتي: اللغة ودلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي(مقال)، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج28، ع3، يناير/مارس، 2000، ص30-31.

6- أحمد المتوكّل: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، ط1، 1987، ص35.

7- ينظر المرجع نفسه، ص36.

8- المرجع نفسه، ص36.

9- المرجع نفسه، ص36.

10- المرجع نفسه، ص36.

11- المرجع نفسه، ص36.

12- المرجع نفسه، ص37.

13- المرجع نفسه، ص38.

14- محمود خليف خضير الحياني: البلاغة في ضوء النسق، والسياق، والتاريخ، مجلةّ ألّلغّة ألّوظيفية، جامعة الشلف، الجزائر، مج6، ع2، 2019، ص6.

15- أحمد المتوكّل: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، ص84.

16- المرجع نفسه، ص 86.

17- المرجع نفسه، ص88.

18- مصطفى غلفان: أعمال أحمد المتوكل اللسانية، من التراث إلى الحداثة، مقال منشور ضمن أعمال الندوة التكريمية للأستاذ أحمد المتوكل، بعنوان: النحو الوظيفي واللغة العربية، تنسيق: نعيمة الزهري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص20-21.

19- يحي بعيطيش: الوظائف التداولية في رواية ريح الجنوب لابن هدّوقة، مجلة علامات، مكناس، المغرب، ج51، م13، مارس 2004، ص 653.

20- أحمد المتوكل: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ص8_9.

21- يحي بعيطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، رسالة دكتوراه، جامعة قسنطينة، 2006، ص 84.

22- المرجع نفسه: ص85_86.

23- صالح بن محمد الصعب: مبادئ نظرية النحو الوظيفي وأسسها، مرجع سبق ذكره.

24- يحي بعيطيش:الوظائف التداولية في رواية ريح الجنوب لابن هدوقة، ص 655-657.

25- المرجع نفسه، ص656.

26- يحي بعيطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي 78-79.

27- أحمد المتوكل: الخطاب واللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2010، ص 13-15.

28- يحي بعيطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص 84.

29- أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، دار الأمان، الرباط المغرب، ط1، 2006، ص 66.

30- يحي بعيطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص 88.

31- أحمد المتوكل: من البنية الحملية إلى البنية المكوّنية الوظيفة المفعول في اللغة العربية، دار الثقافة، المغرب ، ط1، 1987، ص: **16**.

32- نفسه، ص: 150.

33- نفسه، ص 19.

34- عبد الفتاح الحموز:نحو اللغة العربية الوظيفي في مقاربة أحمد المتوكل، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1،2012، ص 470.

35- أحمد المتوكل: من البنية الحملية إلى البنية المكوّنية، ص: 19- 20.

36- عبد الفتاح الحموز: نحو اللغة العربية الوظيفي في مقاربة أحمد المتوكل، ص: 490.

37- أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، ص: 95.

38- أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد ، ص: 109.

39- أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 28.

40- نفسه: ص 28.

41- نفسه: ص 69.

42- نفسه: ص 115.